اهالي راس الرجاء الصالح يبلغون مليونًا ونصفًا من النفوس . والمشتغلون بالزراعة منهم نحو ٧٠٠ الف نفس فقط والارض التي يزرعونها لا تزيد مساحتها على ستمئة الف فدان ولكن عندهم اكثر من مليونين من البقر ونصف مليون من الخيل والبغال والحمير و٢٣ مليونًا من الغنم والمعزى و١٥٥ الفًا من النعام ومليونين ونصف من الفراخ . وبلغ وزن الاثمار التي جنوها في العام الماضي مليونين و٦١٣ الف رطل

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنفساحًا ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمًا كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الرائقة مع الايجاز تستحق على المطوّلة

الخير في الحضارة لا الشر

حضرة منشئي المقتطف الموقرين

بينما كنتُ اسرّحُ الطرف واطلق عنان التأمل في العدد الاول من سنة المقتطف الحاضرة عثرت في باب المناظرة والمراسلة على مقالة لمستفيد من الافاضل تحت عنوان "الخير في الحضارة ام الشر" ولقد أتى فيها حضرته على ذكر بعض اقوال من مقدمة الفيلسوف الشهير بن خلدون مؤدّاها ان اهل البدو اقرب الى الخير منهم الى الشر واما اهل الحضر فبعكس ذلك فانهم اقرب الى الشر منهم الى الخير بل هم هدف لاقتراف الآثام واجترام الجرائم

ولقد اردف جناب المستفيد كلامه بمقارنة ما ذهب اليه الفيلسوف المومأ اليه بما ذهب اليه المقتطف الاغرّ ثم التمس من ارباب الاقلام الافاضة في هذا الموضوع لان المسألة ذات بال كما قال فتحتاج الى طويل بحث وكثير امعان ولا غرو فالحقيقة بنت البحث وما تزاحمت الافكار على اثبات حقيقة الاّ اماطت اللثام عن محياها ووقفت على ماهيتها

اما اذا صحّ قول جناب المستفيد الفاضل — ولا نخاله الاّ كذلك — فيكون زعم

ابن خلدون هذا من الامور الغريبة في بابها والحالة هذه وعلى كلّ فلا يجمل بنا التسليم بصحة ذلك البتة لان البراهين العقليّة والشواهد النقليّة وما جريات الحوادث والاحوال تبيّنا بعكس ما ذكر

قالت الحكماء والعلماء ان اقرب الناس الى الله من سعى في خير عباده وابعدهم عنهُ من اساء الى الناس قولاً وعملاً . ولا يخفى ان الانسان يشق عليهِ ان يقوم باداء خدمة خليقة بالذكر او صنع عمل حري بالشكر بنبذ بهِ نفسهُ والهيئة الاجتماعيّة حتّى يكون مقرّبًا من الله والناس ما لم يكن على جانب من العلم والدراية اذ لا ينتظر من رجل ساذج او غبيّ جاهل انهُ يسعى في خير البلاد ونفع العباد ولا لوم عليهِ في ذلك ولا تثريب وانما لانتظر من الارض العميقة الّتي لم يعتنَ بتفليحها ولم يكترث بها ان تنتج الاثمار اليانعة والازهار الناضرة

وناهيك ان العلم والدراية هما السلم الموصل الى معارج الفضيلة ومدارج التقوى لاننا قلما نجد عالمًا سكيرًا او فاسقًا او قمّامًا او حسودًا ولكن طالما وجدنا هذه الصفات كلها آخذة كل مأخذ من جهلة القوم وعامتهم مثل اهل البدو الذين دأبهم وديدنهم السلب والنهب وسفك الدماء والفتك بعباد الله فتكًا ذريعًا الى غير ذلك من الطباع والاخلاق السمجة المنظة التي يمجها الذوق السليم وتأباها كل نفس ابيّة

وذلك يعزى وينسب الى سببين — اولها — ان العالم بحقائق الامور المميز بين الغث والسمين يسهل عليهِ معرفة النافع منها والضار فيستجلب النافع منها ويزاوله وينبذ الضارّ ظهريًا باذلاً قصارى جهدهِ في درء جميع الاخطار والاضرار الّتي تتهددهُ او تحدق بهِ من وقت الى آخر فهو يعرف مثلاً نتائج المسكر الوخيمة وما ينجم عنهُ من الخسائر الجسديّة والاديبّة والعقليّة والماليّة وقس على ذلك الفسق وما شاكلها من الرذائل فيجتنبها ويقلع عنها بل ينشمئز منها . . . . وبعكس ذلك الجهال بحقائق الامور فانهم يستحسنون ذا ورم ويتفنون في غير ضرم فتراهم يقدمون على كل هذه الامور غير عالمين ان السمّ في الدسم فيكونون كالباحثين عن حتفهم بظلفهم

وثانيها — ان المدرك حقيقة الامور يقدّر الامور قدرها فيتروّى فيها ويقرأ عواقبها بعكس الجاهل فانهُ لا يفتكر الاّ في لذة ساعتهِ الّتي هو فيها

والعلم منتشر بين اهل الحضر الذين خصوا بهذه المزايا دون سواهم واما اهل البدو فلم تثقف عقولهم ولا تدمثت اخلاقهم شأن الحضريين لان ليس عندهم مدارس ولا جرائد فيجهلون حقائق الامور ويترتب على جهلهم اياها نفورهم وتهافتهم على اتيان المنكر

وهذا امر بديهي لا يحتاج الى اطناب وكثير اسهاب

وقد قيل ان التضلع من العلم والتعمق فيهِ والتوغل في سياسيهِ وفيافيهِ يفضي بصاحبهِ الى الكفر ولكن هذا القول فاسد . لانهُ لا يخفى على ذوي الابصار والبصائر ان الانسان كلما ازداد تنوُّرًا ومعرفة ازداد تشبثًا بالدين واعتصامًا بعروة اليقين وتمسكًا باهداب الصلاح والتقوى لانهُ كلما شاهد اعمال الله العجيبة واطلع على مكنون اسراره الغريبة كان ذلك داعيًا لزيادة وثوقهِ بهِ والاذعان لاوامرهِ وحسبنا على ذلك دليلاً ما نراهُ في اشهر علماء عصرنا مثل العلاَّمة الدكتور كرنيليوس فان دبك الذي ترجم التوراة الى لغتنا العربيَّة الشريفة والدكتورين الموقرين الدكتور لانسن والدكتور هوج رحمة الله عليهما فانهما كانا من العلماء ومن ائمة الدين في آن واحد

وقد تواتر على السن الناس قولهم ان العلم مقسوم شبرين فمن بلغ الشبر الاول تكبر وتجبر وطغى وبغى ومن بلغ الشبر الثاني عرف حقيقة نفسهِ فلم يخرج عن حدودهِ ولم يحد عن جادَّة الحق والصواب

ولقد عثرت على قول بعض افاضل القوم اسردهُ هنا لان لهُ علاقة كبيرة بالموضوع الذي نحن بصددهِ قال مبينًا فضيلة العلم والعلماء وتوفرهُ وانتشارهُ عند اهل الحضر دون البدو "انهُ اذا فحص الجوهر الانساني من حيث فطرتهُ الاولى شوهد متلألئًا بكل الصفات الساذجة والخصال البسيطة حسبما يرى في كل من يربى بعيدًا عن ازدحام الناس ثم ان لطافة هذا الجوهر واحتياجهُ الى وقاية نفسهِ جعلاهُ يتأثر بكل صورة تلوح لهُ ويتخلق بكل خلق يحافظ بهِ على نفسهِ فانضمامهُ الى غيرهِ طبع صور الحوادث الاجتماعيَّة والوقائع الاديَّة على سائر قلبهِ وطبعهُ باخلاق وطباع يمكنهُ بها ان يعارك ويزاحم امواج العالم ويعيش تحت لواء حوادثهِ . غير ان كثرة تقلبات الاحوال والاجيال افقدتهُ كل اطوار تلك الفطرة الاولى وصيرتهُ من شر المخلوقات واشدها توحشًا ومن ثم لم يعد الانسان قادرًا على الدخول في دائرة التمدن الاَّ اذا كان متزينًا بتثقيف العقل الذي يعتبر كآلة عظيمة بها يمكن لكل امرء ان يعيد الى طبيعتهِ ما افقدها اياهُ التوحش ولا يتم هذا التثقيف الاَّ بالتروض في العلوم والفنون ودراسة المعارف الطبيعيَّة والاديَّة . ومن المعلوم ان العلم يخلق في الانسان قلبًا نقيًّا وروحًا مستنيرة . . . . ويزيلهُ كل الصفات الفاضلة ويبعدهُ عن كل ما يشين الجوهر الانساني . . . . ولا يترك لهُ سبيلاً الى التفكر في الامور الدنيئة والاميال المنحرفة وهو الامر الذي تنشق منهُ كل افعال الشر وعليهِ تبني كل دعائم التوحش . . . . . فكيف ينكر

الانسان مثلاً في دناءة السلوك عند ما يكون على الفلك طائرًا به الى اعالي الاجرام السموية حينما يرى الوف الوف وربوات ربوات من النجوم التي هي شموس كبيرة الحجم وكل منها جالس على عرش الفضاء ثابت في مركزه وتدور حوله كواكب سيارة مختلفة الابعاد والاشكال وجميع ذلك له من السمو والعظمة ما يخبر بعظم اعمال الله وكيف يأخذ بذهنه هناك سير الغريب حينما تكون الطبيعة هاتكة له اسرارها وسبدية لديه غوامضها فاذا نظر الى الارض رآها تدعوه الى تمييز طبقاتها وتعداد مفردات عناصرها ومعرفة نسبة كل من موادها الى غيره . واذا تأمل في الحيوان رآه باسطًا انواعه لدى حكمه وطالبًا منه فصل كل نوع عن الآخر واذا لحظ النباتات رآها كانها تدعوه الى معاينة عجائب نموها وماهية جوهرها وكيفية تغذيتها وانتاجها وكأنها تكلفه احصاء انواعها وتحديدها

وكيف يرتضي بعمل المتكرات حينما تكون الكيمياء مقدمة له مركباتها وطارحة عليه مسائل غوامضها فما ينتهي من معرفة صفات عنصر منها وادراك نسبته الى غيره الا ويبرز لديه عنصر آخر ويدعوه الى البحث والتنقيب فيذهب خابطًا في عباب المشكلات . . . .

وكيف يسع لايمالي ان تسرح في عالم السرور والمعاصي حينما تكون الجغرافية سائرة به على ظهر هذه الكرة المملوءة من عجائب الخلق وغرائب الحوادث فتارة تطير به الى قمم الجبال فيرى ما فيها من الاودية العميقة والسلاسل المتطيلة والينابيع الجارية فيفكر فيما سبب المرتفعات وما احدث المنخفضات وما جمع المياه واحيانًا تمر به على السهول الواسعة والبحار الشاسعة والانهار المتدفقة فيقف متفكرًا في ما جمّد اليابسة وجمع السوائل الى مكان واحد

وكيف لا يبدل الاعمال الرديئة بالصالحة عند ما يكشف له التاريخ حجب الاجيال الغابرة ويطلعه على كثيرين من الذين عوملوا بحسب اعمالهم بل يظهر له ان كثيرًا من الممالك العظيمة القوة والراسخة الاركان قد افضى بها قبح السلوك الى الاضمحلال والملاشاة وكثيرًا من الولايات الصغيرة قد آلت بها قوة الاطوار الحميدة الى الاتساع والامتداد"

وجملة القول ان العلم هو المثقف الاعظم للعقل والمروض الاكبر لجماح الطباع والسبب الاتم لتشييد المدن اذ هو يرفع افكار الانسان الى الحقائق السامية فلا تعود دائرة على الدنايا ويرسم في مرآة ذهنه صور الكائنات الدقيقة فيترفع عن الخزعبلات فتنطفئ من قلبه نيران الحسد بنظره الى زوال ما يحسد عليه ويطرد من صدره ضواغط الطمع بادراكه حقيقة الاعراض

اذا تقرر ذلك كان اهل الحضر هم الاقرب الى الخير والفضيلة لتمتعهم بهذه المزايا اكثر

من سواهم ان لم اقل دون سواهم فالخير في الحضارة لا الشر

مصر — توفيق عزوز

احد محرري جريدة الفرائد

المعامل في مصر

حضرة منشئ المقتطف الفاضلين

اطّلعت في الجزء الاخير من المقتطف على نبذة لحضرة الاديب جبرائيل افندي روفائيل اقترح فيها انشاء شركة مساهمة في القطر المصري تقيم معامل لغزل القطن ونسجه . وقد طالعت في المقتطف وغيره من الجرائد مقالات كثيرة في الحث على انشاء المعامل الصناعية في البلاد كأنّ انشاء المعامل يقوم بقدح زناد الفكر وتسطير الآراء على القرطاس . واني لأعجب كيف يضيع الكتّاب اوقاتهم واوقات القرّاء في الحث والانذار وهم لو تأمّلوا في الامر قليلاً لرأوا ان الاماني التي يتمنونها اضغاث احلام وكأنهم نسوا ان الحكومة المصرية قد انشأت معامل لاكثر المصنوعات ثم مالبثت تلك المعامل ان خربت فصدأت آلاتها وصارت بيوتها نوافق للجرذان لانها وضعت الشيء في غير محلهِ ولو اقتدى بها اغنياء التجار الآن لعاد عملهم عليهم بالخسران كما عاد عليها . خذ مثلاً لذلك نسج القطن الذي خصّصهُ الكاتب بالذكر فاذا اشترك جماعة من التجار وانشأوا معامل لغزل القطن ونسجه وقصره وطبعه لزمهم اما ان ينسجوا المنسوجات من القطن المصري الغالي الثمن الذي تنسج منهُ المنسوجات الغالية او من القطن الاميركاني والهندي فاذا نسجوها من الاول لم يجدوا لها سوقًا في هذه البلاد فان قيمة كل المنسوجات التي تستعمل في القطر المصري سنويًا نحو مليونين من الجنيهات واكثرها مما قطنهُ رخيص مع ان ثمن القطن المصري نحو عشرة ملايين من الجنيهات فيضطرون ان يصدروا بقيّة المنسوجات الى البلدان الاجنبية و ينفقوا عليها قدر ما ينفقون اليوم على القطن للتاجر والعملاء واصحاب السفن . واذا نسجوها من القطن الاميركاني والهندي اضطروا ان ينفقوا على جلب هذا القطن اكثر مما ينفقون على جلب المنسوجات المصنوعة منهُ . ناديك عن ان المعامل لا تنسج بلا ادوات وهذه لابد من جلبها كلها من اوربا او اميركا ثم ان معامل اوربا واميركا تزيد كل يوم اختراعًا جديدًا يقلل تعب العمل وتتقنهُ فاذا لم تتقدم معاملنا بها صارت بضائعها ارخص من بضائعنا ولا يمكننا

حينئذٍ تقليد المخترعات الاوربيّة لان مخترعيها اذا دروا بذلك اخذوا براءة بها في بلادنا فصار تقليدها جريمة تقاص الحكومة عليها اشد القصاص واذا أردنا ان نجاريهم في الاختراع لزمنا ان نتعلم مثلهم العلوم الرياضيّة والميكانيكيّة والطبيعيّة والكيماويّة ويكون عندنا جرائد مختلفة في هذه الفنون وان نجري في هذا المضمار ثلاثين او اربعين سنة على الاقل

وهناك امرٌ ثالث وهو ان الآلات لا تدور بلا قوة والقوة اما مائيّة او ناريّة . فالقوة المائيّة معدومة في القطر المصري لان نيله يجري مستويًا بانحدار قليل جدًّا . والقوة الناريّة يجب ان يؤتى بها من معادن الفحم الحجري التي في اوربا فيكون كل ما يدفع اجرةً لنقل الفحم الحجري من هناك الى هنا خسارة تضاف الى معامل النسج عندنا

ثم ان الطبيعة والصناعة قد خصّت كل بلاد بخواص ميزتها بها على غيرها وقد رضيت البلدان بهذه القسمة لانها رأتها عين الحكمة على مبدإ تقسيم الاعمال فاذا نظر الحائك الى جاره الاسكاف وقال اراهُ يربح مني في عمل الحذاء عشرة غروش فلماذا لا اعمل حذائي بيدي فاربح ما يربحهُ هو والى جاره النجار وقال انا لو صنع لي باب بيتي لربح مني عشرين غرشًا فلماذا لا اصنعهُ انا واربح ما ادفعهُ له . والى جاره البناء وقال انهُ يربح مني في بناء بيتي مئة غرش فلماذا لا ابنيهِ انا فيبقى الربح لي — اذا قال ذلك وعمل كل هذه الاعمال اضاع عمله ولم يتقن عملاً آخر وصحّ فيهِ قول المثل العامي كثير الكارات قليل البارات . ولذلك نجد الولايات الاوربيّة والاميركيّة التي مثل القطر المصري تقتصر على الاعمال التي هي مستعدة لها طبعًا اكثر من غيرها . ولا تكثر المعامل لكل انواع المصنوعات الاّ في الممالك الواسعة الكثيرة القوة المائية والمناجم الفحميّة

وغنيٌّ عن البيان ان التجار انفسهم ادرى بطرق الكسب من سواهم فلما رأوا انهُ يمكن انشاء معمل لتكرير قصب السكر انشأوهُ حالاً ولما رأوا انهُ يمكن انشاء معامل لعمل الصابون والنشا والبلاط انشأوها ولم يستشيروا كاتبًا ولا منشئًا وسيدخلون كل الصنائع التي يمكن نجاحها في هذا القطر صناعةً صناعةً حالما تتوفر المعدّات لذلك ولكن لا ينتظر منهم ان ينشئوا معامل تنسج كل القطن المصري او تغني عن كل المصنوعات الاوربيّة لان ذلك ضرب من المحال

والتقدّم اذا سار وئيدًا كان اكيدًا واذا طفر طفرةً كان كنار الهشيم تحتدم وتعلو لهيبها ثم لا تلبث ان تنطفئ وتصير رمادًا

م . د .